



مسائل خلافية في نقد الشعر القديم

أمية بن أبي الصلت - الأعرشى، ميمون بن قيس

ثنائيات بعض القصائد القديمة - شعبية الشعر الإسلامي

تأليف

د. فضل بن عمّار العماري

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب

جامعة الملك سعود

دار جامعة
الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS



ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

ح) دار جامعة الملك سعود للنشر، ١٤٤٣هـ (٢٠٢٢م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العماري، فضل بن عمار.

مسائل خلافية في نقد الشعر القديم: أمية بن أبي الصلت - الأعمش، ميمون بن قيس: ثنائيات بعض
القصائد القديمة - شعبية الشعر الإسلامي / فضل بن عمار العماري؛ - الرياض، ١٤٤٣هـ.

٢٠٥ ص؛ ١٧ سم × ٢٤ سم

ردمك: ٣ - ٠٣٧ - ٥١٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الشعر الإسلامي - نقد أ. العنوان

١٤٤٣/٦٩٩٣

ديوي ٠٦٢، ٨١١

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٦٩٩٣

ردمك: ٣ - ٠٣٧ - ٥١٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حكمت هذا الكتاب لجنة متخصصة، شكلها المجلس العلمي بالجامعة، وقد وافق المجلس على
نشره - بعد اطلاعه على تقرير المحكمين - في اجتماعه الثاني للعام الدراسي ١٤٤٣هـ، المعقود
بتاريخ ٧/٢/١٤٤٢هـ، الموافق ١٣/٩/٢٠٢١م.

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من الكتاب بأي شكل وبأي وسيلة سواء
كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو
استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر.

دار جامعة
الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS



بين يدي الكتاب

فلنتفق على أن:

- أمية قال شعراً دينياً في الجاهلية....
- وشعر الأعشى ذكرى لأيام خالية....
- والقصائد الجاهلية وحدة واحدة لا تتجزأ....
- وكذلك قصائد المخضرمين.... وفي بعضها تداخل واختلاط....
- ولغة القصيدة الجاهلية كل واحد انسجاماً وتعبيراً....
- وهكذا قصائد المخضرمين....
- وعلى أن هناك شعراً إسلامياً مقبولاً، مهما كانت درجته من الصحة.

المقدمة

كان العلماء الأوائل يختلفون، وانحصر جل اختلافهم حول توجيه معاني المفردات، ما جرّ إلى التصحيف والتحريف، ولم يكن ذلك الاختلاف عن قصور في الإدراك، أو عجز في التصوّر، وإنما كان نتيجة طبيعية للمادة اللغوية التي بين أيديهم، فهي مادة جاءتهم من مصادر شتى، خضعت للتبدلات الظرفية، والمتغيرات الحياتية، والحالة البشرية نفسها.... ثم هي مادة وليدة المرحلة الشفوية.

ولم يطل الزمن، حتى رُصدت اختلافات في شتى مجالات اللغة. وجاء من بعد أولئك العلماء، أجيالٌ واصلت العمل بثقة وتمكن. يتضح هذا، على سبيل المثال، في شرح المفضليات للأنباري، وهو من رجالات القرن الرابع الهجري، وشرح حماسة أبي تمام للمرزوقي، وهو من ثقات القرن الخامس الهجري، واستمرت الشروحات والتعليقات، على هداية ودراية، حتى حينما يخدم التنافس، وتصطرع النفوس؛ ذلك أن الوعي العلمي كان أساسياً في تكوين شخصيات علماء القرون المتعاقبة، حتى بدايات القرن الرابع عشر الهجري، على الرغم مما وُصفت به تلك الفترات من جهود وركود، وذلك في مجال التوثيق والتحقيق.

وكانت فاتحة الدراسات الأدبية، كتابات طه حسين، الذي غير مسار أستاذه حسين المرصفي؛ فبدلاً من الشرح البياني والتعبير البلاغي - وهو ما اتبعه طه حسين في تحليلاته للقصاصد الجاهلية في حديث الأربعاء، دونما إثارة فكرية، وإنما اكتفى باللذة الأدبية - انتقل طه حسين إلى تفجير قضايا، سار بها في الطريق الذي عدّه صواباً ورآه صحيحاً، فبرزت قضية الشك في الشعر الجاهلي، عنيفة مدوية.

وفي كتابه "في الأدب الجاهلي" كتب طه حسين بأسلوبه الجذاب، وعباراته الأخاذة، عن أمية ابن أبي الصلت، وكان على اتصال بما يدور في الميدان الأدبي من كتابات عنه، وعرف القراء سريعاً رأي كليان في شعر أمية، واطلعوا على رأي المستشرقين في شعر من سموهم الحنفاء بشكل عام، ولكنهم وجدوا طه حسين لا يقبل رأي أحد، وهو يلزم غيره باعتناق أفكاره. وظل أمية في حيص بيص، وكُتبت عنه دراسات ورسائل، ولم يصل أحد إلى حكم قاضٍ. ثم تقاربت الفجوات مع تقدم الزمن، ولم تُغلق دائرة النقاش واللجاج. ويأتي الفصل الأول من هذا الكتاب، فيتدخل ليضيق الفجوات، ويسد الثغرات، ويربط الحلقات.

وإذا كانت حقيقة وجود شعر ديني جاهلي أمراً شبه مقرّر، وكان أمية من أبرز شعرائه؛ فاللافت للنظر أن طبيعة شعر أمية، تختلف عن النمط المشترك للقصيدة الجاهلية بشكل عام، الأمر الذي يجعله عصباً على أيّ منهج علمي، ويقرب التطبيق إلى العملية التوضيحية في دراسة الشعر وتحليله، بالعودة إلى المكونات الأساسية للشعر القديم، من محسنات بديعية وسواها، بينما للشعر الجاهلي خصائص مميّزة، يقع شعر أمية خارجها، كما يكشف عنه البحث؛ ولأن التطبيقات الآلية المعاصرة لم تتحقّق حتى الآن النتائج المنوطة بها في مثل هذه القضايا التي لا بد من أن يتدخل فيها الحسّ والذوق والخبرة.

إن شعر أمية مختلف عليه، فمن منكر له، وآخر يتقبّله، دون الاحتكام إلى معايير موضوعية واضحة، كما نراه معروضاً هنا. وهذا ما استدعى محاولة إعادة دراسة شعر أمية، بافتراض أسلوب خاصّ به، دون إقحام الدين فيه، في موضوعين بارزين جاء في شعره، وهما: المديح والهجاء، واستخلاص المقومات الأساسية في أسلوبه، وما يعكسه هذا الأسلوب من شخصيته التي ظهر أنها شخصية يتحكّم فيها العقل والتفكير والتدبّر.

وإني لعلّ يقين أن هذا الإجراء هو الإجراء المناسب جدّاً للخروج بنتائج مرضية، إزاء شعر، لا هو بالجاهلي الخالص، ولا هو بالإسلامي الخالص، سواء من حيث اللغة، أو الفكر، أو التفكير الجمعي لشعر ما قبل الإسلام. وبعد هذا جرى تطبيق تلك النتائج على شعره الديني، بعد تداول ما قيل فيه سلباً أو إيجاباً؛ فكان من المستغرب أن وجدنا الأثر الديني في شعره ضعيفاً، يكاد يكون متلاشياً. ومن هنا كان وقوفه في صفّ الوثنيين ضدّ لإسلام. وعلى العموم، فإن المنهج المطبّق على

شعره قاد إلى الاحتكام إلى التلازم بين الفكر الديني الوثني وما اختلط به مما هو سائد في الكتب السهاوية قبل الإسلام، الأمر الذي أدى إلى استبعاد ما هو ديني غير وثني صريح، ونسبته إلى سواه من معاصريه. فقصيدته في مدح الرسول ﷺ ليست له. وتؤدّي هذه النتيجة إلى تضيق الجدل المستدام حول شعره الديني خاصة، وهو ما سعى هذا الفصل إلى تثبيت فكرته.

ووقف الدارسون عند شعر الأعشى، وكانوا أكثر عدلاً وإنصافاً، مع وجود هاجس حول هذا الشاعر الضير، تردد أصداؤه في أذهانهم، ولم يستطيعوا التخلص منها كل التخلص، والانفكاك عنها كل الانفكاك. ووضع الفصل الثاني شعر الأعشى على المحك، واستدل استدلالاً من شعره وشخصيته على مرحلة نضجه الفني واستوائه الأدبي. وهي خطوة تظهر شيئاً كان مغفولاً عنه، جرّ إلى عدم اليقين. ولم يكن ذلك للربط بين الأطلال والمثيب؛ ولأن التحليل لم يركّز على هذا، فهو أمر مفروغ منه الآن، قال به كثيرون، وإنما كان للاستدلال على حالة العمى التي لم تدركه إلا بعد أن تقدّمت به السنون، وهو ما أوصلنا إلى كون ما تبقى من شعر الأعشى قيل قريباً من الإسلام، فهو شعر استوفى كل السّمات الشخصية لصاحبه. وفي الدراسة تصحيح لما يُشاع عن "فسق الأعشى ودعارته" في أخريات عمره.

وقال طه حسين، ما قال، ويشمل قوله افتراض إنشاء القصيدة على مرحلتين متباعدتين زمنياً وفكرياً. وهو أمر مستحيل، ويناقض حتى الأطروحة التي ادعى هو فيها أن امرأ القيس كهوميروس؛ لأن عينية سويد بن أبي كاهل قيل منها في الجاهلية - كما رأى - والجاهلية مرحلة غير المرحلة الإسلامية التي وُضع فيها سويد جزءاً الثاني من عينيته، حسب اعتقاده. وكما وجد الدارسون آراء طه حسين في أمية، أخذوا هذه الفكرة منه، ولكن من غير أن يذكروه، أو يرجعوا رأيهم إليه. وتعدد القائلون بالثنائية، واستبدل بعضهم الثنائية بعبارات أخرى تعني معناها. وهذا خطأ فادح، ورأي لا يتفق أيضاً مع طبيعة قول الشعر العربي القديم، فأين الأحاسيس والمشاعر؟ وأين التراكم والصياغة؟ وأين لحظات الفن والإلهام؟ بل أين الإسلام من الجاهلية؟ لقد غفل أولئك الذين قالوا بالثنائية عن أهم شرط من شروط الإبداع، ألا وهو الاستبطان الذاتي، والاستغراق عند خلق القصيدة، إلى درجة استحضار القوى الغيبية، وهو أمر شائع معروف في تصور تلقّي الشعر بدءاً من امرئ القيس حتى نهاية عهد الشفوية في العصر الأموي.

أما دراسة يحيى الجبوري للبيد التي أقامها أساساً لإثبات شعر إسلامي للبيد، فاضطر إلى القول بشائبة بعض قصائد لبيد، للخروج مما يتضمنه شعر لبيد من أبيات ذات منحنى ديني. وهنا كان على فصل هذا الكتاب الثالث، أن يراجع كل ذلك. أما الفصل الرابع، فمحاولة لاستيضاح مفهوم الثنائية في نموذج متكامل لثنائية مفترضة في ميمية المخبل السعدي.

وانتهى الكتاب بالفصل الخامس الخاص بالشعر الإسلامي الذي يدور الجدل حول هذا الكم الكبير المنسوب إلى عهد النبوة والخلفاء الراشدين، ووصل إلى تقرير قبول هذا الشعر على أنه شعر قديم، دون الخوض في تفاصيل الصحة والانتحال، ولقد وافقت أطروحة الدراسة هنا ما ذهب إليه شوقي ضيف وغيره من "شعبية" ذلك الكم الكبير من الشعر الإسلامي، الأمر الذي يثبت تحوُّلاً ثقافياً في أنماط الحياة والتفكير وقول الشعر....

إذن، هذا الكتاب يعيد مساءلة قضايا قديمة، طواها النسيان، كفضية أمية بن أبي الصلت، فأصبحت مقرّرة ومؤكدة، أو لم يتوقف الدارسون عندها مجموعة مثل ثنائيات بعض القصائد، حتى أقحموا لبيداً في هذا، ولبيد لا شأن له به، أو أنهم راحوا يجهدون أنفسهم في الجدل حول صحة هذه أو تلك من قصائد الشعر الإسلامي، الذي لا يخضع للمعايير النقدية التي ارتأوها، مع أن مقداراً كبيراً من هذا الشعر اختلّف في جوهره: لغة، وتعبيراً، وفتناً... عن سابقه، وكان طابع الارتجال غالباً عليه.

وبعد، فهذا الكتاب: مسائل خلافية، وليس شرطاً أن تتفق على إحداها، أو كلها، ولكنها محاولة لإثارة بعض وجهات النظر التي ربما أدّت إلى مراجعة بعض المسلمات، على أنه ينبغي لفت النظر إلى أن الكتاب لم يتناول اختلاف رواية بعض الألفاظ، فهي مخدومة في مظانها؛ لأن هذا من طبيعة الشعر القديم؛ ولأن هذا سيخرجنا عن الهدف الذي من أجله وُضع الكتاب.

المحتويات

هـ.....	بين يدي الكتاب
ز.....	المقدمة

الفصل الأول : شعر أمية بن أبي الصلت بين الصحة والانتحال

١	مدخل
٢	النقد الداخلي (الفني)
٢	الشعر الديني
٧	اللغة
٨	الأسلوب
٩	الخيال
٩	التشبيه والاستعارة
١٠	الكناية
١١	مكوّنات الصورة الفنية
١٢	المحسنات البديعية
١٢	الطباق
١٢	الجناس
١٤	التكرار

١٥	خصائص أسلوب أمية
١٦	الشعر الديني
١٦	قصيدته في رثاء قتلى بدر
١٩	مقارنة بين مرثية أمية ومرثية عبدالله بن الزبير في قتلى بدر
٢٠	التأثيرات الدينية
٢١	النقد الخارجي (الموضوعي)
٢١	الموقف من الشعر الديني
٢٤	سطحية التفكير الديني عند أمية
٢٥	مصادقية رواية شعر أمية
٣١	التداخل والاختلاط
٣١	أمية والشعراء المتدينون
٣٣	بين أمية وأبيه، أبي الصلت بن أبي ربيعة
٣٣	مدح الفرس
٣٦	الشعر المنحول
٣٦	قصيدته في مدح الرسول ﷺ
٣٧	شعر أمية في كتاب مضاهاة كليلة ودمنة
٣٨	القصيدتان اللتان رفضهما السطلي
٣٩	نموذج من الحشو والإضافة
٣٩	الخلاصة

الفصل الثاني : الأعشى ميمون بن قيس بين العمى والإبصار

٤٢	الحُب والحُرمان
٥٩	الحرية التعبيرية في شعر الأعشى

الفصل الثالث : ثنائية بعض القصائد القديمة

٦٥	مدخل
٦٨	قصيدة امرئ القيس بن حجر الكندي البائية مطلعها
٧٣	النتيجة
٧٤	مطولة سويد بن أبي كاهل
٨٦	النتيجة
٩٠	قصيدة حسان بن ثابت
٩٥	النتيجة
٩٥	قصيدة امرئ القيس بن عابس الكندي
٩٧	النتيجة
١٠٠	رأي حول القصيدة
١٠٠	رأي النعمان القاضي
١٠٢	النتيجة
١٠٢	مناقشة هذا الرأي
١٠٥	النتيجة
١٠٥	قصيدة ربعة بن مقروم الضبي
١٠٦	رأي حول القصيدة
١٠٧	مناقشة هذا الرأي
١١١	النتيجة
١١١	قصيدة عمرو بن معد يكرب
١١١	رأي حول القصيدة
١١٢	مناقشة هذا الرأي
١١٥	الثنائية في شعر لبيد بن ربعة العامري
١١٥	رأي يحيى الجبوري
١١٧	رأي إحسان عباس

الفصل الرابع : نموذج متكامل لثنائية جديدة مفترضة

١٣٣	ميمية المخبل السعدي
١٣٣	وصف الحالة النفسية للشاعر
١٣٣	وصف الطلل
١٣٤	وصف المحبوبة
١٣٦	وصف رحلة الشاعر
١٣٨	الخاتمة
١٣٩	التحليل
١٣٩	وصف الحالة النفسية
١٣٩	وصف الطلل
١٤٠	وصف المحبوبة
١٤٢	رحلة المحبوبة
١٤٢	وصف رحلة الشاعر
١٤٧	الخاتمة

الفصل الخامس : الشعر الإسلامي

١٥١	تمهيد
١٥٢	التحول الثقافي
١٥٣	تأثر الشعراء المخضرمين
١٥٥	كثرة الشعر
١٥٦	ملامح الشعر الإسلامي
١٥٦	لين الشعر وضعفه
١٥٩	الشعر الموضوع
١٦١	شعر السيرة
١٧٢	شعر الفتوح

١٧٣	الشعر في حرب صفين
١٧٤	شعر حسان الموضوع في العصر الأموي
١٧٩	الخاتمة
١٨١	المصادر والمراجع
١٩٣	كشاف الآيات
١٩٥	كشاف الأحاديث
١٩٧	كشاف قوافي القصائد والمقطوعات والأبيات المفردة
٢٠١	كشاف الأعلام